المسار، وسلك ذات السبيل، ولكنْ في سياق غزة الحديثة، وتحت قصف الأعداء وحصار السنين.

وهو وإنْ أخفى نفسه تواضعًا في سطور الكتاب إلا أنَّه يتجلَّى فيها جَليًا، في مقدمة الصفوف، وفي طليعة الهيعات، وفي نداء البدايات، كما عرفه كلُّ من زامله، أو تَخَرَّج من تحت يديه؛ فهو يروي عن أحد طلابه: «قرأ عليَّ القرآن صيفًا وشتاءً، سلماً وحربًا، فوق الأرض وتحتها، في ليالي الرباط، وفي محاريب المساجد»، لقد حَمَلَه القرآن على كلِّ معاني الإقدام والفداء، فلم يشغله الجهاد عن القرآن، ولا القرآن عن الجهاد، ولسان حاله يصرخ فينا: «بئس حامل القرآن مَن أُتيَ المسلمون من قِبله».

لقد سَطَّر الشهيد لنا في كتابه كلماتٍ تُبكي القلوب وتعصر الأرواح، ومن ذلك ما كان يردّده: «إنَّ الدرجات المئة التي أعدها الله للمجاهدين كفيلةٌ بأن نترك من أجلها كلَّ نعيم الدنيا»، ويقول أيضًا بعبارة تمزق قلب الأب وحنو الأبوة، ولكنها تزرع في القلب غرس الآخرة: «مع طول الحصار وضغط القصف والدمار والمعارك، نسيتُ أشكال أولادي، أحاولُ جاهدًا أنْ أُغمض عيني لأتذكرهم!!، للأسف: لا نتيجة، نسيتُ أشكالهم واللهِ، ولعلَّ هذا من لطف الله، لئلا يضعفَ المجاهد ويفرَّ ويرجعَ إلى الدنيا ويركنَ إليها».

في هذا المزيج المذهل بين إنسانيةٍ راقية، وجهاديةٍ عارمة، وبين علمٍ راسخ، وفداءٍ نادر، تشعر أنك أمام نموذجٍ يُجسِّد توازن الإسلام، ويُعيد سيرة الجيل الأول، ليس في الروايات وإنَّما في الميدان نفسه، حتى لكأنك أمام «حذيفةَ العَصر»، أو «خبابَ زمانِه» رحمه الله.

إنّ هذا الكتاب يُحدِّثُك بقلمٍ كَتَبَ من قلب الميدان، لا عن رواياتٍ سمعها، وإنّما عن مشاهداتٍ عايشها، ولا عن مسائلَ نظريةٍ طُرحت في المجالس، ولكن عن معاناةٍ حقيقية، ووقائعَ حيَّة، خاضها بنفسه، أو عاشها مع إخوانه وشركائه في الجهاد والميدان، وعند تفسيره وتأمله في